

## الفصل العاشر

### الدروس المستفادة

- o تعلم وممارسة الأمور التنظيمية قبل البدء في الدراسة والتوجه إلى الحقل الميداني.
- o من أجل توضيح هذه المسألة بشكل أفضل، نشير إلى بعض النصائح التي قدمتها مساعدة باحث، توجز فيها المصاعب التي واجهتها أثناء عملية تحديد مواعيد للمقابلات و اختيار المشاركين المناسبين.

1. تذكر أنك كباحث في حاجة إلى التنفس. تأكد من ترك مسافة بين المقابلة والأخرى، وألا تجرى أكثر من ثلاث مقابلات يومياً فقد لا تعلم على سبيل المثال، كم من الوقت تحتاج للوصول إلى المدرسة الحكومية التي لم تزرها من قبل (تقع مثلاً في منطقة ريفية أو مركز حضري نائي). ففي حلقة نقاش بؤرية مع نساء من الامارات (Winslow et al., 2001) ، وصل عدد من المشاركات متأخراً، بينما لم يتمكن البعض الآخر من الوصول إلى مركز الرعاية الصحية الأولية، وهو مكان مقبول اجتماعياً أن تتردد عليه النساء، لأنهن لم يجدن سائقين ليقودهن إلى المكان. لذلك، قرر الباحثون في حلقات النقاش اللاحقة الذهاب إلى النساء في المكان الذي يلتقن فيه عادة، وهو الجمعية النسائية بأبو ظبي، وهي المنظمة التي تمد النساء اللاتي توقفن عن الدراسة بالمهارات المنزلية الضرورية لتمكنهم من رعاية أسرهن.
2. ينصح باختيار المشاركين على أساس الأولوية والمجال ودرجة الخبرة. قد لا يتمكن الباحث، على سبيل المثال، من الوصول إلى المشاركين ممن يعتقد أن مساهمتهم ستثري الدراسة، نتيجة مشاكل تتعلق بالوقت المتاح. وفي حالة أخرى، اتضح أن أحد المشاركين الذي كنت أرغب في إجراء مقابلة معه للحديث عن خبرته في تطبيق وسائل البحث الكيفي لا يفقه شيئاً عن هذا الموضوع إذ أن المؤسسة التي ينتمي إليها من انصار المقاربة الكمية. ويعود هذا اللبس إلى سوء التنسيق بين الباحث والشخص المسئول عن ترتيب اللقاء. لذلك، من الأفضل أن تتحكم أنت في عمليات اختيار المشاركين، بالرجوع إلى سؤال البحث الرئيسي.
3. استعن باستمارة الموافقة على إجراء البحث كلما كان ذلك ضرورياً. ففي إحدى الحالات، طلب رئيس أحد الأجهزة البحثية الحكومية خطاباً يتضمن شرحاً لأهداف البحث والغاية منه، ولم يكن الباحث قد أعد هذا الخطاب. وفي حالة أخرى ضمن مشروع أكاديمي عن الصحة الحضرية، قمنا بإعداد مثل هذه الخطابات لكافة المشاركين خلال عملية البحث بأكملها. وفي حالات أشار إليها Winslow et al., 2002 ، لم يقدم الباحثون استمارات الموافقة للنساء المزمع عقد اللقاء معهن، حين لاحظوا انهن أميات، فأكتفوا بالحصول على موافقة شفوية منهن.

4. أحرص على توفير الأجهزة والمواد الضرورية لإجراء المقابلة قبل موعد عقدها.
5. قد تصادف بعض القيود المتعلقة بالوقت أثناء إجراء المقابلات فلا تتمكن من إجرائها بدرجة العمق المطلوب. ومن الوارد أيضاً أن ينشغل بعض المشاركين بأمر ومهام أخرى مثل المعلمين الذين قد يضطرون إلى التدريس فى وقت معين من اليوم أو يتواجدون فى مكان المقابلة فى موعد متأخر عن الموعد المحدد لسبب أو لآخر. وفى بعض الأحيان، يضطر الباحثون إلى انهاء النقاش قبل الموعد المحدد، (تستغرق حلقة النقاش ساعة على الأقل). وفى احدى الحالات، اضطررنا إلى انهاء المناقشات بعد 20 دقيقة، إذ كان المدرسون مرتبطين بالمراقبة على التلاميذ فى الاختبارات النهائية.
6. وأحد الاعتبارات الهامة التى يحرص عليها الباحث هو التوقيت الذى يختاره لإجراء حلقات النقاش البؤرية. فى احدى المرات، رفض عدد معين من المدارس الاشتراك فى حلقة نقاش بؤرية عن آراء المعلمين عن النوع والمسائل الخاصة بالصحة الانجابية، إذ تزامنت مع فترة الامتحانات النهائية. وفى مقابلتين أجرينا فى مصر ، أراد المشاركون أن يؤدوا صلاة الظهر فطلبوا الإذن بذلك. وعلى الباحث الكيفى أن يبدي احترامه دائماً لمواقيت الصلاة.
7. فى حالة إجراء حلقات النقاش البؤرية فى بلد آخر أى خارج بلد الباحث، ينصح الاستعانة بأحد الأشخاص من أهل البلد لتدوين الجلسة باللغة المحلية التى تتحدث بها المجموعة، فقد أجد صعوبة كأجنبى فى متابعة الحديث باللهجة المحلية
8. قد تصادف كباحث مصاعب أخرى خاصة بالعمل الميدانى كالصخب أو تواجد أشخاص غرباء فى مكان المقابلة، ولا يمكنك فعل أى شىء تجاه ذلك، بل قد تكون قد توقعت حدوثه. فى احدى الحالات، بينما كنت أجرى مقابلة مع خبير زراعى و اقتصادى عن استخدام البحث الكيفى، كان باب الحجرة يصدر صوتاً مزعجاً عند فتحه أو اغلاقه مما تسبب فى ازعاجنا- الخبير وأنا - إلا اننا لم نتمكن من التحكم فى دخول وخروج الأشخاص أو حتى بقائهم فى الحجرة أثناء إجراء المقابلة، فقد كان هناك ثلاثة أشخاص يتجادلون أطراف الحديث فى الغرفة، مما أثر فى خصوصية المقابلة وزاد من الضجيج أثناء إجرائها.
9. تتعلق المتاعب الأخرى باستخدام جهاز التسجيل. فى احدى المرات أثناء دراسة جدوى التسميد فى احدى المناطق شبه الريفية، كان علينا أن نضرب على جهاز التسجيل حتى يعمل، وفى مشروع آخر، كان علينا أن نكتب ملاحظتنا يدوياً لأن جهاز التسجيل لم يكن يعمل. عليك أن تتأكد من توافر بطاريات إضافية وجهاز إضافى للتسجيل أو على الأقل، جرب الجهاز قبل التوجه الى الميدان لتجرى المقابلة.
10. وهناك مصاعب أخرى تتعلق بالترتيبات التنظيمية. فقد حدث أن ألغى أحد المشاركين من مصر مقابلة كنت قد حددت موعدها مسبقاً معه ولم يكن لدى خطط بديلة لإجراء مقابلة مع شخص آخر. وحتى

- تتجنب اهدار الوقت، من المستحسن دائماً أن تحتفظ بأسماء مشاركين آخرين ووسائل الأتصال بهم لإجراء مقابلات معهم إذا ما ألغى أحد المشاركين الأصليين موعده.
11. قد تدفع الظروف السياسية والقوى الهيكلية المشاركين إلى تقديم صورة مختلفة عما يرغبون تقديمه، مما قد يؤدي الى تفسيرات خاطئة عن الواقع.
12. حاول أن تتبع القواعد الأخلاقية مع نفسك بقدر المستطاع أثناء تفسير أو تحليل البيانات حتى تتجح في توصيل آراء المشاركين الأصلية.
13. يعتبر النوع الاجتماعي أحد العوامل الهامة في حلقات النقاش البؤرية والمقابلات المتعمقة، خاصة في بلدان الشرق الأوسط. ففي مصر، على سبيل المثال، لم ينجح الباحثون الذكور في إجراء مقابلات مع المشاركات أو تسهيل إجراء مجموعات النقاش البؤرية لأن السيدات لم تشعر بالراحة في الحديث معهم نتيجة للمؤثرات الثقافية، إذ شعرن بدرجة أكبر من الراحة في التحدث مع الباحثات. وفي لبنان، في سياق دراسة عن ادراك المعلمين للتربية الجنسية والمسائل المتعلقة بالنوع الاجتماعي في المدارس، قام الباحثون من الذكور بإجراء مقابلات مع المدرسين من الذكور، بينما قامت الباحثات بالتحدث مع المشاركات . ويؤكد Winslow وآخرون (2002) في دراستهم عن الحاجات الصحية لنساء الإمارات، أن الثقافة والدين يلعبان دوراً أساسياً في الحيلولة دون إجراء حلقات نقاش بؤرية مختلطة بين الأناث والذكور، إلا إذا كان المشاركون أعضاء أسرة واحدة.